قصيدة مترجمة

إحـــــذرى !

للأســـتاذ مصطفى صادق الرافعى

ترجمنا عن الشيطان قصيدة (لحوم البحر [1]) . وهذه ترجمة عن أحد الملائكة ؛ رآنى جالساً تحت الليل وقد أجمعتُ أن أضعَ كلمةً للمرأة الشرقية فيما تحاذِرُهُ أو تتوجَّسُ منه الشرَّ ؛ فتخايَلَ الملكُ بأضوائه فى الضوء ، وسَنَحَ لى بروحه ، وبثَّ فىَّ من سرِّه الالٰهى ؛ فجعلتُ أنظرُ فى قلبى إلى فجرٍ عن هذا الشعر يَنْبُعُ كلمةً كلمة ، ويُشْرِقُ معنًى معنًى ، ويستطيرُ جملةً جملة ، حتى اجتمعت القصيدة وكأنما سافرتُ فى حُلُمٍ من الأحلام فجئت بها .

وانطلق ذلك الملَك وتركها فى يدى لُغَةً من طهارته للمرأة الشرقية فى ملائكيتها .

إحـــــذرى !

إحذرى أيتُها الشرقيةُ وبالغِى فى الحذر ، واجعلى أخصَّ طباعِك الحذَرَ وحده .

إحـذرى تمدُّنَ أوربا أن يجعـلَ فضيلتَك ثوباً يُوَسَّعُ ويُضَيَّق ؛ فلُبْسُ الفضيلة على ذلك هو لُبْسُها وخَلْعُها . . . .

إحذرى فنَّهم الاجتماعىَّ الخبيثَ الذى يَفْرِضُ على النساء فى مجالس الرجال أن تؤدِّىَ أجسامُهُنَّ ضريبةَ الفن . . . .

إحذرى تلك الأُنوثةَ الاجتماعيةَ الظريفة . إنها انتهاء المرأة بغاية الظَّرفِ والرقة إلى . . . الى الفَضيحة .

إحذى تلك النسائيةَ [2] الغزليَّة . إنها فى جملتها ترخيصٌ اجتماعىٌّ للحرَّة أن . . . . أن تشاركَ البَغِىَّ فى نصف عملها .

أيتُها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى التمدُّنَ الذى اخترعَ لقتل لَقَبِ الزوجةِ المقدَّس ، لقبَ « المرأة الثانية » . . . . .

واخترع لقتل لقب العـذراء المقدس ، لقبَ « نصف عذراء » . . . .

واخـترع لقتل دِينِيَّةِ معانى المرأة ، كلمة « الأدب المكشوف » . . . .

وانتهى إلى اختراع السرعة فى الحب . . . . فاكتفى الرجل بزوجة ساعة . . . .

وإلى اختراع استقلال المرأة ، فجاء بالذى اسمهُ (الأب) من الشارع ، لتلقىَ بالذى اسمهُ (الابن) إلى الشارع . . . . .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى وأنت النَّجْمُ الذى أضاء منذ النبوَّة ، أن تقلِّدى الشمعةَ التى أضاءت منذُ قليل .

إن المرأةَ الشرقية هى استمرارٌ متصلٌ لآداب دينها الانسانىِّ العظيم .

هى دائما شديدة الحفاظ حارسةُ كنوزها ؛ فان قانون حياتها دائما هو قانونُ الأمومة المقدَّس .

هى الطُّهر والعفة ، هى الوفاء والأنَفة ، هى الصبر والعزيمة ، هى كل فضائل الأُمّ .

فما هو طريقُها الجديد فى الحياة الفاضلة ، إلا طريقُها القديمُ بعينه ؟

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى وبحك تقليدَ الأوربية التى تعيشُ فى دنيا أعصابها محكومةً بقانون أحلامها . . . .

(١) نشرت فى العدد ٦٢ من الرسالة

(٢) نحن نستعمل النسائية والنسوية وكلاهما عندنا صحيح والاختيار فى كل موضع للأفصح فى موقعه .

لم تَعُدْ أنوثتُها حالةً طبيعيةً نفسيةً فقط بل حالةً عقليـةً أيضاً تَشُكُّ وتُجادِل . . . .

أنوثةٌ تَفَلْسَفَتْ فرأت الزواجَ نصفَ الكلمة فقط . . . . والامّ نصف المرأة فقط . . . .

وياويلَ المرأةِ حين تنفجرُ أنوثتُها بالمبالغة العقلية فتنفجرُ بالدواهي على الفضيلة . . . .

إنها بذلك حُرَّةٌ مساويةٌ للرجل ، ولـكنها بذلك ليست الأنثى المحدودةَ بفضيلتها . . . .

أيتها الشرقية ! احذري احذري !

* * *

إحذري خَجَلَ الأوربية المتزجِّلةِ من الإقرار بأنوثتها .

إن خَجَلَ الأنثى من أنها أنثى يجعل فضيلتَها تخجلُ منها . . . .

إنه يُسقِطُ حياءها ويكسو معانيَها رُجُولةً غيرَ طبيعية .

إن هذه الأنثى المتزجِّلةَ تنظر إلى الرجل نظرةَ رجـل إلى أنثى . . . .

والمرأةُ تعلو بالزواج درجةً إنسانية ، ولـكن هذه المكذوبة تنحطُّ درجةً انسانيةً بالزواج .

أيتها الشرقية ! احذري احذري !

* * *

إحذري تَهَوُّسَ الأوربية في طلب المساواة بالرجل .

لقد ساوتهُ في الذهاب إلى الحلاّق ، ولـكن الحلاّق لم يجد في وجهها اللِّحْية . . . .

إنها خلقت لتَحْبِيبِ الدنيا إلى الرجل ، فكانت بمساواتها مادّةَ تبغيض .

العجيبُ أن سرَّ الحياة يأبَى أبداً أن تَتَساوى المرأةُ بالرجل إلا إذا خَسِرَتْه .

والأعجبُ أنها حين تخضع ، يرفعُها هذا السرُّ ذاتُه عن المساواة بالرجل إلى السيِّادة عليه .

أيتها الشرقية ! احذري احذري !

* * *

إحذري أن تخسري الطابعَ التي هي الاليقُ بأمِّ أنجبت الأنبياء في الشرق .

أمٌّ عليها طابعُ النفس الجميلة ، تنشرُ في كل موضع جَوَّ نفسها العالية .

فلو صارت الحياةُ غيماً ورعداً وبرقاً ، لكانت هي فيها الشمسَ الطالعة .

ولو صارت الحياةُ قَيْظاً وحَرُوراً واختناقاً ، لكانت هي فيها النسيمَ يتَخَطَّر

أمٌّ لا تُبالي إلا أخلاقَ البطولة وعزائمَها ، لأن جَدَّاتِها ولدْنَ الأبطال .

أيتها الشرقية ؛ احذري احذري

* * *

إحذري هؤلاء الشبَّانَ المتمدنين بأكثر من التمدن . . . .

يُبالغُ الخبيث في زينته ، وما يدري أن زِينَتَه مُعْلِنةٌ أنه انسانٌ من الظاهر . . . .

ويبالغُ في عَرض رجولتِه على الفَتيات ، يحاولُ إيقاظَ المرأةِ الراقدةِ في العذراء المسكينة .

ليس لامرأةٍ فاضلة إلا رَجُلُها الواحد ؛ فالرجالُ جميعاً هم مَصائبُها إلا واحداً .

واذا هي خالطت الرجال ، فالطبيعيُّ أنها تخالطُ شَهَوات ، ويجب أن تحذَرَ وتُبالغ .

أيتها الشرقية ! احذري احذري !

* * *

إحذري فان في كل امرأة طابعَ شريفةً مُتهوِّرة ؛ وفي الرجال طابعُ خسيـةٌ متهوِّرة .

وحقيقةُ الحجاب أنه الفصلُ بين الشرفِ فيه الميل الى النزول وبين الخِسَّةِ فيها الميل الى الصُّعود .

فيكِ طابعُ الحبِّ والحنان ، والايثار ، والإخلاص كلما كَبُرْتِ كَبُرَتْ

طبائعُ خَطِرَة ، إن عملتْ فى غير موضعها . . . . جاءت بعكس ما تعمله فى موضعها .

فيها كلُّ الشرف مالم تنخدعْ ، فاذا انخدعتْ فليس فيها إلا كلُّ العار .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى كلمةً شيطانيةً تسمعينها فى قيمةِ الجمال أو قيمةِ الأُنوثة

وافهميها أنتِ هكذا : واجبات الأُنوثة وواجبات الجمال .

بكلمةٍ يكون الاحساسُ فاسداً ، وبكلمة يكون شريفاً .

ولا يَتَقَطُّ الرجلُ امرأةً إلا فى كلماتٍ مُزَيَّنَةٍ مثلها . . . . .

يجب أن تَتَسَلَّحَ المرأةُ مع نظراتها ، بنظرة غضب ونظرة احتقار .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى أن تُخْدَعى عن نفسك . إن المرأةَ أشدُّ افتقاراً الى الشرف منها الى الحياة .

إن الكلمةَ الخادعةَ إذ تقالُ لك ، هى أختُ الكلمة التى تقال ساعةَ انفاذ الحكم للمحكومِ عليه بالشَّنَق . . . .

يَغْتَرُّونك بكلمات الحب والزواج والمال ، كما يقال للصاعد الى الشَّنَّاقة[1] : ماذا تشتهى ؟ ماذا تريد ؟

الحب ؟ الزواج ؟ المال ؟ هذه صَلاَةُ الثعلب حين يَتظاهَرُ بالتقوى أمام الدَّجاجة . . . .

الحب ؟ الزواج ؟ المال ؟ يا لحمَ الدَّجاجة ! بعض كلماتِ الثعلب هى أنيابُ الثعلب . . . . .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

إحذرى السقوط . إن سقوط المرأة لِهَوْلِه وشدَّتِه ثلاثُ مَصائبَ فى مصيبة :

سقوطُها هى ، وسقوط من أوجدوها ، وسقوطُ من تُوجدهم .

نَوَائبُ الأُسرةِ كلُّها قد يسترها البيتُ الا عارَ المرأة .

فَيَدُ العارِ تقلب الخِيطانَ كما تقلبُ اليدُ الثوبَ فتجعلُ مالا يُرى هو ما يُرى .

والعارُ حكمٌ يُنفِّذُه المجتمعُ كلُّه ، فهو نفىٌ من الاحترام الانسانى .

أيتها الشرقية ! احذرى احذرى !

* * *

لو كان العارُ فى بئرٍ عميقةٍ لقلبَها الشيطانُ مِئْذَنَةً ووقف يُؤَذِّنُ عليها .

يفرحُ اللعين بفضيحة المرأة خاصةً كما يفرح أبٌ غنىٌّ بمولود جديد فى بيته . . . .

واللصُّ ، والقاتل ، والسكِّير ، والفاسق ، كلُّ هؤلاء على ظاهرِ الانسانية كالحرِّ والبرد .

أما المرأةُ حين تسقط ، فهذه من تحت الانسانية هى الزِّلزلة .

ليس أفظع من الزِّلزلةِ المُرْتَجَّةِ تَشُقُّ الأرض إلا عارَ المرأةِ حين يشقُّ الأُسرةَ

(لنظا) مصطفى صادق الرافعى

(١) كلة « الشنقة » ليست عربية ، ولكن لها وجهاً فى الاشتقاق ، غير أن كسرة ميمها تجعلها ثقيلة ، وكان اسمها قديماً « الشناقة » ذكرها ياقوت فى معجم الأدباء ، وهى أفصح وأخف ، فلعل الشناقة بعد هذا تشق المشنقة ..

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٣٥ عدا أجرة البريد

ثمن مجموعة السنة الثانية (المجلد الأول) ٣٥ عدا أجرة البريد

وثمن كل منهما خارج القطر ٥٠